

مات فهو من المؤمنين يصلى عليه كما يصلى على المؤمنين ويدفن
في مقابر المؤمنين ولا شية في إيمانه عند الله . والله بعباده
خبير بصير »

قدمت هذا البحث إلى المشيخة الجليلة ، وبعد أن استقر
الأمر عليه رأيت أن أنشره على صفحات الرسالة القراء سداً
لباب التكفير بهذا وأمثاله الذى شاع وذاع واتخذ بعض الناس
حرفة في الدين ، وإعلاناً للورع والتقوى ، ونظاهراً بمظهر الغيرة
على دين الله وأحكامه . وقد تفضلت الرسالة بنشره في العدد ٤٦٢
الصادر في الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ١٣٦١ هـ
وما كنت أظن أن متدوفاً للعلم واتفاً على أصول الاستدلال
الشرعى يزور عن هذا البحث وبلتوى عن هذه الخلاصة البينة
الواضحة ؛ ولكن قوماً لهم من شبه العلماء الزى واللقب قد حاولوا
أن ينفذوا من هذا البحث أو يثيروا من غبارهم عليه ، فنسجوا
حولة خيوطاً ضعيفة واهية من الشبه ، وأخذوا يكتبون كلاماً
مرددأً متشابهاً في مجلات وصحف لا تقع عليها عين عالم . ويرجع
كل ما موهوا به إلى ما يأتى :

- ١ - « أن حياة عيسى الآن وزوله من السماء آخر الزمان
ثابتان بالكتاب والسنة والإجماع »
- ٢ - « أن من أنكر نزول عيسى كمن أنكر خروج المهدي ،
كلاماً كافراً مرتد عن الإسلام كمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره »
- ٣ - « أن هذا البحث صدر بروح قاديانية » : قصد
ساحبه به أو سائر فيه هوى أتباع غلام أحمد القادياني
ونحن نبدأ بالنقطة الثالثة لأن لها شيئاً من الطرافة ، ولأنها
توضح للقراء أسلوب هؤلاء القوم في البحث وطريقتهم في التفكير
والتكفير مما

يقول « كبيرهم » في مطبوع له نشره :

« ولعل السائل هندي قادياني المذهب أراد الحصول على
فتوى من الأزهر تؤيد مذهبه ! ولعل مشيخة الأزهر ندمت
بعض الندامة على ما سبق لها من تنفيذ القرار الصادر عن هيئة
كبار العلماء لطرد الطالبين الألبانيين إلقاديانيين من الأزهر ؛
إذ حوّلت البسؤال إلى الشيخ كاتب المقالة من بين علماء الهيئة
الذى ستعرف القاديانية في المسألة المحولة إليه ، فكان جوابه أنه

نزول عيسى

للأستاذ محمود شلتوت

« ومنهم أميون لا يملكون الكتاب إلا أمانى وإن م
إلا يظنون . فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون
هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً . فويل لهم مما كتبت
أيديهم وويل لهم مما يكسبون » (قرآن كريم)

في مثل هذه الأيام من العام الماضى ورد إلى « مشيخة
الأزهر سؤال عن عيسى عليه السلام : أحيى هو أم ميت في نظر
القرآن الكريم والسنة المطهرة ؟ وعن حكم المسلم الذى ينكر أنه
حى : أتبقى له زوجته ، وإذا مات أبصلى عليه ويدفن في مقابر
المسلمين ، أم يكون مرتدأً فتبين منه زوجته ، ولا يصلى عليه
ولا يدفن في مقابر المسلمين ؟

حوّلت المشيخة الجليلة هذا السؤال إلينا ، وطلبت أن نكتب
فيه رأينا ، فمرضنا للآيات التى وردت في القرآن الكريم متصلة
بنهاية عيسى مع قومه ، ثم عرضنا للعروى من الأحاديث في هذا
الشأن ، وبحسنا الجميع على ضوء ما تبحث عليه الآيات والأحاديث ،
نخرجنا من البحث بهذه النتيجة وهى بنصها :

« والخلاصة من هذا البحث :

- ١ - أنه ليس في القرآن الكريم ولا في السنة المطهرة
مستند يصلح لتكون عقيدة بطلن إليها القلب بأن عيسى رفع
بجسمه إلى السماء وأنه حى إلى الآن فيها ، وأنه سينزل منها آخر
الزمان إلى الأرض
- ٢ - أن كل ما تنفيده الآيات الواردة في هذا الشأن هو
وبعد الله عيسى بأنه متوفيه أجله ورافعه إليه وعاصمه من الذين
كفروا ، وأن هذا الوعد قد تحقق فلم يقتله أعداؤه ولم يصلبوه
ولكن وفاء الله أجله ورفع له إليه

٣ - إن من أنكر أن عيسى قد رفع بجسمه إلى السماء ،
وأنه فيها حى إلى الآن ، وأنه سينزل منها آخر الزمان فإنه
لا يكون بذلك منكراً لما ثبت بدليل قطعى فلا يخرج عن إسلامه
وإيمانه ولا ينبى أن يحكم عليه بالردة ، بل هو مسلم مؤمن ، إذا

فهو أول من يخطر بالبال أن يكون ذلك الشاذ !
ولست في حاجة إلى أن أقول : إنه لا يوجد بين كبار العلماء
قاطمة ، ولم يكن فيها من قبل ، شخص كهذا الذي تصوره
الشيخ وألبسه تلك العقيدة ظلماً وعدواناً

ولست في حاجة أيضاً إلى أن أقول : إن زمن التحاق بالجماعة
متأخر عن درس مسألة هذين الطالبين وتنفيذ القرار فيهما
ولكنني بعد هذا أسأله ، وقد علم أن هذا العضو ليس
بشلتوت : من يكون إذن ؟ حتى نعرف على الأقل ثاني من يخطر
بالبال في مثل هذا المجال !

أسأله وأنا واثق أنه لا يستطيع أن يجيب لأن هذا الشيخ
وأمثاله لا يقولون ما يقولون عن علم أو بحث ، ولكن عن
خرص وتظنن وتمويه وتشويه « إن يتبعون إلا الظن وما تهوى
الأنفس و « إن الظن لا يغني من الحق شيئاً »

وحسب القراء أن يعلموا أن هذا الشيخ لم يكذب يسلم منه
أحد من قادة العلم والدين في مصر : فهو بهم الأستاذ الإمام
المغفور له الشيخ محمد عبده ، وبهم المغفور له الأستاذ الشيخ
رشيد رضا ، وبهم فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغي ،
وبهم غير هؤلاء ممن ذهبوا إلى ربهم ومن يعيشون ! ولو شئنا
أن نضرب للقراء أمثالا من اتهاماته المضحكة لطال بنا القول ،
ولكننا نكتفي بإيراد ما نسبته إلى الأستاذين : الشيخ عبده
والشيخ المراغي

زعم أن الشيخ عبده رضى الله عنه يرى أن النبي صلى الله
عليه وسلم رجل « من أمثال الذين يشقون بأنفسهم في صحة
آرائهم ومبادئهم وبأمل الناس فيهم الإصلاح والإصلاح » ينسب
هذا إلى تلك الروح الطاهرة التي ذهبت إلى ربها راضية مرضية
بعد أن جاهدت في الله حق الجهاد ، ويكرر هذا المعنى كثيراً
ويقول في لهجة ثم عن الحق والصفينة في كل ما يتناول به
العلماء المصريين : « تفكر في هذا وفي كون صحافة مصر
المنحرفة عن الثقافة الإسلامية إلى الثقافة الغربية لا تزال تشيد
باسم الشيخ قائل هذا القول »

يقول هذا في الشيخ عبده وهو صاحب رسالة التوحيد التي
تكلم فيها عن الرسالة والمعجزة ودلالاتها على صدق الرسول وهدى

عليه السلام مات في الأرض ورفعت روحه ولم يرفع حيا »
وهذا يكتب تمليقاً في أسفل الصحيفة ، يقول فيه سامحه الله :

« وكنت قد سمعت عند ما فاوضت هيئة كبار العلماء فيما بينهم
اللبت في أمر الطالبين المذكورين أن في الهيئة من يشذ ويتردد
في الإفتاء بكفر المنكر لكون نبينا صلى الله عليه وسلم آخر
الأنبياء طعناً منه في حجية الحديث الوارد فيه والإجماع المنعقد عليه
وفي دلالة قوله تعالى : (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن
رسول الله وخاتم النبيين) عليه القطعية ؛ وقد رددت على هذا
العضو الشاذ شذوذه في مقدمة الكتاب « الذي لم ينشر تمامه
بعد » والآن أقول : إن كان الشيخ شلتوت لم يتأخر التحاقه
بههيئة كبار العلماء عن زمان درس مسألة الطالبين فهو أول
من يخطر بالبال أن يكون ذلك الشاذ !

هكذا يقول شيخ الإسلام الذي كفرت به تركيا فأرجع
أيها القارئ إلى هذه العبارة ورددتها لتتظن ما ذا يكتب صاحب
« القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون »
رددتها لتعلم المامل الوحيد الذي جعل دولة إسلامية كبرى
تتشكك فيما ينسب إلى الدين عن طريق هؤلاء !

يبيح هذا الشيخ لنفسه أن يرى وجوه أهل العلم بدون
أدنى تثبت بهم خطية في مثل هذه العبارة الركيكة اللتوية ،
فيزعم أن نزعة كاتب هذا البحث قاديانية ، ويزعم أن هناك
عضواً في جماعة كبار العلماء شذ فعارض في فصل الطالبين
القاديانيين ، وأن هذا العضو يتردد في الإفتاء بكفر من أنكر
ختم النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه يظن في حجية الحديث
الوارد فيه ، ويظن في الإجماع المنعقد عليه ، ويظن في دلالة
الآية القطعية عليه . يتصور هذا الشيخ عضواً في جماعة كبار
العلماء هذا شأنه وتلك عقيدته ، ويؤلف كما يقول كتاباً في الرد
عليه لم ينشره بعد ، وهو لا يعرف شخصه ولا يكلف نفسه
السؤال عنه حتى تسفه به المصادفة فيجمع في خياله بين بحث
شلتوت ومعارضة العضو المجهول في فصل الطالبين ، بل يجمع
بين بحث شلتوت وكفر هذا العضو المجهول بإنكاره مسألة من
أفنت مسائل الدين وأصوله فيقول : « إن كان الشيخ شلتوت
لم يتأخر التحاقه بههيئة كبار العلماء عن زمان درس مسألة الطالبين

أن أحد التمرنين على طريقهم كتب يقول :

« بل كان يجب عليه - يريدنا - أن يتقرب إلى الله بمخالفتهم - بمنى القاديانية - وإظهار موافقة المسلمين فيما يمتدنون ، فإن لم يفعل ذلك تقريباً فليفعله بجاملة لأولئك الأبطال العلماء الذين وقفوا أنفسهم للدفاع عن الدين من هؤلاء المعتدين ، وإظهاراً لاتحاد كلمة المسلمين حتى لا يجد المعتدى خلافاً ينفذ منه . والمثل العاوي يقول : « أنا وأخي على ابن عمي ، وأنا وابن عمي على الغريب » ثم يقول : « فبربك قل لي : كيف يكون موقف إخواننا علماء الهند الذين أثبتوا نزول عيسى عليه السلام بسبعين حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر ، وأثبتوا حياته ورفعوا بأحاديث وآثار عن الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين ، حين يبلغهم عن طريق القاديانية قبل غيرهم أن الأزهر يخالفهم ويقول ليس في هذه المسائل دليل ولا شبه دليل ؟ »

وهذا كلام غني بنفسه عن التعليق عليه ، فقارئ الرسالة يكفيه أن يقرأه ليعلم أن من أسس البحث عند هؤلاء المجاملة والجرى على مقتضى المثل العاوي القائل : « أنا وأخي على ابن عمي ، وأنا وابن عمي على الغريب » . وهذا أسلوب جديد في التفكير لا نستطيع مسايرته ، ولا نحب أن نشغل أنفسنا به ، وحسبنا أن نقول :

أولاً : إن الخلاصة التي أسلفنا نقلها من الفتوى صريحة في أن حياة عيسى ورفعته بجسمه إلى السماء ونزوله منها إلى الأرض آخر الزمان لم يثبت شيء منها بدليل قطعي يكون عقيدة يطمئن إليها القلب حتى يكفر من أنكرها . وهذا القدر وحده لا انفصال له بمذهب القاديانية في قليل ولا كثير

ثانياً : وعلى سبيل الفرض والتقدير لو اتفقت الفتوى مع رأى القاديانية قطعاً أيلزم من ذلك أن صاحب الفتوى يكتب بروح قاديانية ويؤيد القاديانيين الذين يرون فيها يرون أن محمداً صلى الله عليه وسلم ليس خاتم النبيين ، وأن غلام أحد نبي يوحى إليه ؟ وأين هذه من تلك ؟ وهل إذا قال المسلمون في مسألة مثل

الوحي وكونه ممكن الوقوع وواقعاً فعلاً ، وعن وظائف الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وعن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بالخصوص - تكلم عن هذا كله في أكثر من نصف رسالته بعبارات جلية واضحة لا لبس فيها ولا غموض ولا تدع مجالاً للشك في رأيه العلمي لن أراد مخلصاً أن يعرف آراء العلماء

أما تهمته التي حاول إلصاقها بفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغي ، فهي متصل بمقدمته التي قدم بها لكتاب « حياة محمد » الذي ألفه الدكتور هيكل باشا ، وفيها يقول فضيلة الأستاذ الأكبر « إن الإسلام أعلى من شأن العقل والبرهان وجعلهما أساس الحكم والعلم وعاب التقليد ودم المقلدين وأنب من يتبع الظن وفرض الدعوة بالحكمة لمن يفقهها ولم تكن معجزة محمد صلى الله عليه وسلم القاهرة إلا في القرآن وهي معجزة عقلية »

هذا هو قول فضيلة الأستاذ الأكبر . أتدري أيها القارئ ماذا صنع به هذا الشيخ الذي يتصيد التهم للناس نصيداً ؟ لقد أعاد فيه وأبدأ في عدة مواضع متفرقة من كتابه بعبارات مختلفة ولوازم منتحلة ، ومن ذلك أنه يقول « بهذه العبارة أنكر الشيخ المراغي المعجزات الكونية لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ويلزمه لذلك أن ينكر الأحاديث الواردة فيها ، ويلزمه لذلك أن ينكر المعقل الثاني للتشريع الإسلامي وهو السنة المحمدية ، وهو بهذا وذاك يعمد لإلناء « كلية الشريعة » التي تدرس الفقه وأصول الفقه « قياس متصل النتائج نسج الخيال والتعسف مقدماته حتي انتهى إلى هذه النتيجة التي سود بها صحيفة كتابه ! فإذا كان هذا الشيخ ينتحل هذه التهم وأمثالها ويلصقها بالشيخ عبده والشيخ المراغي وأمثالها فلا غرابة في أن ينتحل مثلها أو أشد منها ويلصقها بشلتوت وأمثال شلتوت ، فتلك ششنة عرفت من أمثال هؤلاء الذين منى الإسلام بهم في كل عصر ، ورأوا أن مسaire الجاهير في أهوائهم وعقائدهم أجدى لهم وأسبغ للخير والنعمة عليهم !

ومن الأمثلة التي نسوقها تفككه للقراء ، وبياناً لطريقة هؤلاء في البحث ومبلغ إخلاصهم للعلم ونزولهم على حكم البرهان ،

الأكبر ، وبعت بنسخة منه إلى حضرة صاحب المقام الرفيع
رئيس مجلس الوزراء^(١)

وفي هذا الكتاب يقول :

« إني أكتب لفضيلتكم في مسألتي هامتين لكل واحدة
منهما خطرها وعظم شأنها لمسماها من قريب أو بعيد بأصل
المقيدة الدينية » ، ثم رجو فضيلة الأستاذ الأكبر أن ينشر
الرأي الصواب الذي يقرره فضيلته عن هاتين المسألتين في مجلتي
الرسالة والإسلام فضلاً عن نشره بمجلة الأزهر . ونحن لا نرى
بأساً في الرجوع إلى شيخ علماء الدين أو إلى هيئة علمية دينية
في تعرف رأيه أو رأيها في مسألة دينية ، ولكننا لا نفهم ما المراد
بتوجيه هذا الكتاب إلى حضرة صاحب المقام الرفيع رئيس
مجلس الوزراء في مسألة دينية كهذه : أيراد أن تكون هناك
هيئة حاكمة يرجع إليها في حماية نوع خاص من التفكير العلمي
والديني ؟ إن كان هذا هو المراد فما أشبهه بمحاولة العمل على
إعادة صورة من صور محاكم التفتيش الأسبانية البائدة في مصر
وعلى يد رئيس حكومتها وشيخ علمائها وفي أحضان الإسلام دين
الحجة والبرهان لا دين القوة والسلطان

ألا إننا لا نكتب ما نكتب إلا صوتاً لمثل هذا النائب
المحترم ولجمهرة من المسلمين قد تروج عليهم حيل هؤلاء الخادعين
التطفلين على موائد العلم ، وسنعرض في الفصول المقبلة إن شاء الله
إلى شبههم التي موهوا بها وبنوا عليها قصور الخداع والإضلال .
وسيعلم الناس أن الله سبحانه وتعالى كما ابتلى عباده بقوم
يجادلون في الله بنير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، قضت
حكمته - رحمة بعباده وصوناً لدينه - أن يهيئ طائفة يظهرها
على الحق ، ويدفع بها في صدر الباطل ، حتى يكشف عواره ،
وينسخ آثاره « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو
زاهق ولكم الويل مما تصفون »

محمود شلتوت
عضو « جماعة كبار العلماء »

ما يقول اليهود والنصارى يكون ذلك دليلاً على روح يهودية
أو نصرانية ؟ وهل إذا أنكر عالم من علماء المسلمين وقوع النسخ
في القرآن يكون مُصدراً في ذلك عن روح قاديانية ؟ وإذا رد
علماء المتمدن على القاديانية في ذلك أتجب عليه مجاملتهم أيضاً ؟
وهل إذا قال قائل بأن الجهاد ليس مطلوباً منا بسبب كفر
الكافرين ولكن بسبب محاربتهم إيانا واعتدائهم علينا كما ينقل
عن الثوري وكما ينسبه ابن العربي إلى الحنفية في تفسيره ؛ أ يكون
بذلك مُصدراً عن روح قاديانية ؟

لا . لا . إنكم أيها الموهون لا تريدون بذلك إلا أن تجاروا
سلفاً لكم ضعفوا عن الحجة والبرهان ، ولم يتعودوا الإخلاص
للحق ، فراحوا يردون الآراء بتشويهها والتنفير منها : كانوا
يقولون : هذا رأي المعتزلة ، وهذا يتفق مع قول الفلاسفة ،
وذاك رأي ابن تيمية ... الخ . وها أنتم أولاء تتبعون سنن من
قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع فتحاولون تشويه الآراء بمثل
قولكم : هذه روح قاديانية ، هذه مسامرة لآراء المستشرقين ،
هذا تجديد في الدين ... الخ . ولكن اعلموا أن الفكر الإسلامي
قد أخذ يستعيد صفاءه ويسترد إخلاصه للحجة والبرهان كما
كان شأن السلف الصالح من المؤمنين . وأصبحت هذه الأساليب
مكشوفة معروفة ، بل أصبحت وبالأعلى أصحابها لأنها تنفر منهم
وتدل على ضعفهم والتواء عقولهم !

لقد كان جديراً بنا ألا نشغل أنفسنا بأمثال هؤلاء ، وأن
نرميهم ذكراً كراماً ، ولكنهم عمدوا إلى أسلوب آخر من
أساليب الخداع والتويه إذ اتصلوا بقوم عزيز علينا أن تتركهم
صياداً في شبكتهم . يمدعون باسم الدين ، وسوسوا لهم بأن هذه
الفتوى تمس المقيدة الثابتة بالقرآن والسنة المتواترة والإجماع
القطعي ، فهي اعتداء على الدين وهدم لركن من أركانه . وسوسوا
بهذا ونحوه ، وكان من آثار هذه الوسوسة أن نائباً محترماً له
في نقوسنا مكانة ومحبة اتخذ بما يقولون وطاوعهم في استكتاب
كتاباً في هذا الشأن رفعه إلى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ

(١) جريدة الوفد المصري الصادرة في الخامس من شهر ربيع الأول
هذا العام